
الامام الحسن عليه السلام
قدوة و أسوة
محمدتقى مدرسى

بسم الله الرحمن الرحیم

# الامامالحسن علیه‌السلام قدوه و اسوه


کاتب:

محمد تقی المدرسی



نشرت فی الطباعهٔ:

محبان الحسین علیه السلام

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

# الفهرس

# الامام الحسن علیه‌السلام قدوهٔ و أسوهٔ

## اشارهٔ

سرشناسه : مدرسی، محمد تقی، ۱۹۴۵- م.

Mudarrisi, Muhammad Taqi

عنوان و نام پدیدآور : الامام‌الحسن علیه‌السلام قدوه و اسوه/ محمدتقی المدرسی.

مشخصات نشر : تهران: محبان‌الحسین (ع، )۱۴۳۱ ق= ۲۰۱۰ م= ۱۳۸۸.

مشخصات ظاهری : ۶۴ ص؛ ۱۱×۱۷ س‌م.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۴۲۷-۰۸۸-۸

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : چاپ قبلی: مکتب العلامه المدرسی، ۱۴۰۶ق. = ۱۳۶۴.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : حسن‌بن علی(ع)، امام دوم، ۳- ۵۰ق.

رده بندی کنگره : BP۴۰/م۴الف۸ ۱۳۸۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۴۳۷۸۱

## الاصل الکریم

### ولادته و نشأته

۱- النبی فی رحلهٔ

فی لیلهٔ النصف من رمضان. کان بیت الرسالهٔ یستقبل ولیده الحبیب، وقد کان ینتظره طویلا.. واستقبله کما تستقبل الزهرهٔ النضرهٔ قطرهٔ شفافهٔ من الندی بعد العطش الطویل.

والولید یتشابه کثیراً وجدَّه الرسول العظیم، ولکنّ جدَّه لم یکن شاهَد میلاده حتی تُحمل إلیه البشری. فقد کان فی رحلهٔ سوف یرجع منها قریباً.

وکان أفراد الأسرهٔ ینتظرون باشتیاق، ولا یتحفون الولید بسنن الولادهٔ، حتی إذا جاء الرسول (ص) أسرع إلی بیت فاطمهٔ (ع) علی عادته فی کل مرهٔ عندما کان یدخل المدینهٔ بعد رحلهٔ. وعندما أتاه نبأ الولید غَمَره الْبُشر، ثم استدعاه. حتی إذا تناوله أخذ یشمّه ویقبّله ویؤذِّن له ویُقیم، ویأمر بخرقهٔ بیضاء یلف بها الولید، بعدما ینهی عن الثوب الأصفر.

ثم ینتظر السماء هل فیها للولید شیء جدید، فینزل الوحی، یقول: إن اسم ابن هارون - خلیفهٔ موسی (ع) کان شَبَّراً..

وعلی منک بمنزلهٔ هارون من موسی فسمِّه حَسَناً، ذلک أن شُبَّراً یرادف الحسن فی العربیهٔ.

وسار فی المدینهٔ اسم الحسن، کما یسیر عبق الورد. وجاء المبشرون یزفون أحر آیات التهانی إلی النبی (ص)، ذلک أن الحسن (ع) کان الولد البکر لبیت الرسالهٔ، یتعلق به أمل الرسول وأصحابه الکرام. فهو مجدد أمر النبی الذی سوف یکون القدوهٔ والأسوهٔ

للصالحين من المسلمين.. إنه امتداد رسالة النبی من بعده. وفی الغد یأمر الرسول (ص) بكبش، یعق عنه، فلما یأتون به یجیء بنفسه لیقرأ الدعاء الخاص بالمناسبة.

## عقیقة عن الحسن

اللهم عظمُها بعظمه، ولحمُها بلحمه، ودمُها بدمه، وشعرُها بشعره، اللهمَّ اجعلها وقاءً لمحمد وآله.

ثم یأمر بأن یوزع اللحم علی الفقراء والمساكین، لتكون سنّة جاریة من بعده، تَذبح كلّ أسرة ثریَّة كبشاً بكل مناسبة متاحة، لتكون الثروة موزعة بین الناس، لا دَولة بین الأغنیاء منهم.

ثم یأخذه الرسول ذات یوم وقد حضرت عنده لبابة - أم الفضل - زوجة العباس بن عبد المطلب عمِّ النبیِّ (ص) فیقول لها: رأیتِ رؤیا، فی أمری..

فتقول: نعم یا رسول الله..

فیقول (ص): قُصِّیها.

فتقول: رأیت كأن قطعة من جسمك وقع فی حضنی.

فناولها الرسول (ص) الرضیع الكریم، وهو یبتسم ویقول: نعم هذا تأویل رؤیاك. إنه بضعة منی. وهكذا أصبحت أم الفضل مرضعة الحسن (ع).

.. ویشب الولید فی كنف الرسول الأعظم (ص)، وتحت ظلال الوصی (ع)، وفی رعایة الزهراء (ع)، لیأخذ من نبع الرسالة كلّ معانیها، ومن ظلال الولایة كلّ قِیَمِها ومن رعایة العصمة كلّ فضائلها ومكارمها. ولایزال النبی والوصی والزهراء علیهم جمیعاً صلوا ت الله یُوْلُون العنایة البالغة التی تنمی مؤهلاته.

## الوراثة

ولیس هناك من شك بأن للوراثة أثرها الكبیر فی صیاغة الفرد صیاغة مكیفة بالبیئة التی انبعث منها وخلق فیها. وبیتُ أبناء أبی طالب، كان خیر البیوت لإنشاء الإنسان الكامل، فكیف وقد وُلد الحسن (ع) من عبد المطلب مرتین، مرة من علی بن أبی طالب وأخری من فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (صلی الله علیهم وآلهم)؟. كما كان علی (ع) مولوداً عن هاشم مرتین. ولا نرید أن نشرح مآثر بیت هاشم، وبالخصوص أسرة عبد المطلب فیهم، فإنها ملأت السهل والجبل، بل أقول: ناهیك عن بیت بزغ منه الرسول الأكرم، محمد (ص)، والوصی العظیم علی (ع)، وحسب علم حساب الوراثة أن التأثیر قد یكون من جهة الأب فیستصحب كلّ سماته وصفاته. وقد یكون من جانب الأم، وقد تحقق فی الحسن (ع) هذا الأخیر. فقد برزت فیه سمات أمه الطاهرة لتعكس صفات والدها العظیم محمد النبی (ص)، فكان أشبه ما یكون بالنبی منه بالإمام، وطالما كان یطلق النبی قوله الكریم:

الحسن منی والحسین من علی.

وقد یمكن أن نجد تفسیراً لهذه الكلمة فی الأحداث التی جرت بعد الرسول (ص) وطبیعة الظروف التی قضت عند الحسن (ع) أن یتخذ منهج الرسول أُسوةً له دقیقة التطبیق شاملة التوفیق، فیعطی الناس من عفوه وصفحه، ویعطی أعداءه من صُلحه ورِفقه، مثلما كان یعطی الرسول تماماً.. كما اقتضت عند الحسین (ع) أن یبالغ فی شدّته فی الدِّین، وغیرته علیه، ویبدی من منعته ورفعته فی أموره، ما جعل تشابهاً كبیراً بینه وبین عهد علی (ع) مع المشركین والكافرین والضالین.

## التربیة

ولقد أولاه النبيُّ والوصيُّ والزهراءُ عليهم الصلاة والسلام من التربية الإسلامية الصالحة ما أهَّله للقيادة الكبرى. فإن بيت الرسالة كان يربى الحسن وهو يعلم ما سوف يكون له من المنزلة في المجتمع الإسلامى، كما يوضح للمؤمنين منزلته وكرامته.

فكان النبيُّ (ص) يرفعه على صدره، ثم يقيمه لكى يكون منتصباً ويأخذ بيديه يجره إلى طرف وجهه الكريم جرَّاً خفيفاً وهو ينشد قائلًا:

حزقَّةً حزقَّة [۱] تَرَقَّ عينَ بَقَّة.

ويلاطفه ويداعبه.. ثم يروح يدعو: اللهم إنى أُحبه فأَحبَّ من يحبه ويقصد أن يسمع الناس من أتباعه لكى تمضى سيرتُه فيه أسوة للمؤمنين، بكرامة الحسن (ع) واحترامه.

ومرة يصلى النبى بالمسلمين فى المسجد، فيسجد ويسجدون، يرددون فى خضوع: سبحان ربى الأعلى وبحمده مرة بعد مرة، ثم ينتظرون الرسول أن يرفع رأسه ولكن النبيّ يطيل سجوده، وهم يتعجبون: ماذا حدث؟. ولولا أنهم يسمعون صوت النبى لايزال يَبعث الهيبة والضراعة فى المسجد لظنوا شيئاً.

ولا يزالون كذلك حتى يرفع النبى رأسه، وتتم الصلاة، وهم فى أحر الشوق إلى معرفة سبب إبطائه فى السجود فيقول لهم: جاء الحسن فركب عنقى، فأشفقت عليه من أن أُنزله قسراً، فصبرت حتى نزل اختياراً.

وحيناً: يصعد النبى (ص) المنبر ويعظ الناس ويرشدهم، فيأتى الحسنان من جانب المسجد فيتعثَّران بثَوْبَيهما فإذا به يهبط من المنبر مسرعاً إليهما حتى يأخذهما إلى المنبر، يجعل أحدهما على وركه اليمنى، والآخر على اليسرى، ويستمر قائلًا: صدق الله ورسوله، (اَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (الانفال/۲۸) نظرت إلى هذين الصبيَّين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما.

وكان يصطحبهما فى بعض أسفاره القريبة، ويُردفهما على بغلته من قُدَّامه ومن خَلْفه لئلا يشتاق إليهما فلا يجدهما، أو لئلا يشتاقا إليه فلا يجدانه. وكان يشيد بذكرهما فى كلّ مناسبة، ويظهر كرامتهما إعلاناً أو تنويهاً. فقد أخذهما معه يوم المباهلة وأخذ أباهما وأمهما فظهر من ساطع برهانهم جميعاً ما أذهل الأساقفة [۲] .

ودخل رسول الله دار فاطمة (ع)، وسلم ثلاثاً على عادته فى كلّ دار، فلم يجبه أحد. فانصرف إلى فناء، فقعد فى جماعة من أصحابه ثم جاء الحسن ووثب فى حبوة جدّه فالتزمه جدّه، ثم قبله فى فيه ثم

راح يقول: الحسن منى والحسين من على.

وكثيراً ما كان الناس يتعجبون من صنع الرسول هذا، كيف يعلنها لإبْنَيهِ إعلاناً، فذات مرة شاهده أحد أصحابه وهو يقبل الحسن ويشمه فقال – وقد كره هذا العمل -: إن لى عشرة ما قبَّلت واحداً منهم، فقال رسول الله: من لايرحم لايُرحم. وفى رواية حفص قال: فغضب رسول الله (ص) حتى التمع لونه وقال للرجل: ان كان الله نزع الرحمة من قلبك ما أصنع بك؟ ثم لما رأى مناسبة سانحة أردف قائلًا:

الحسن والحسين ابناى، مَن أَحبَّهما أحبنى ومن أحبنى أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة. ومن أبغضهما أبغضنى، ومن أبغضنى أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار.

ثم أخذهما هذا عن اليمين وذاك عن الشمال، مبالغة فى الحب.

ولطالما كان يسمع الصحابة قولته الكريمة:

هذان ابناى وابنا بنتى، اللهم إنى أُحبهما، وأُحب من يحبهما.

أو كلمته العظيمة يقولها وهو يشير إلى الحسن (ع): وأُحب من يحبه.

ويرى أبو هريرة الإمام الحسن (ع) بعد وفاة جده الرسول فيقول له: أرنى أقبل منك حيث رأيت رسول الله يقبّل، ثمّ قبّل سرّته. ومن ذلك يظهر أن رسول الله (ص) كان يعلن ذلك إعلاناً، حتى يراه الناس جميعاً.

وقد بالغ النبيُّ (ص) فى مدح الحسنين، حتى لكان يُظن أنهما أفضل من والدهما على (ع)، مما حدا به إلى أن يستدرك ذلك فيقول: هما فاضلان فى الدنيا والآخرة وأبوهما خير منهما.

.. وطالما كان يرفعهما على كتفيه – يذرع معهما طرقات المدينة والناس يشهدون، وقد يقول لهما:

نعم الْجَمل جَمَلُكما، ونعم الراكبان أنتما.

وطالما كان ينادى الناس فيقول:

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

أو:

الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا.

أو:

الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا.

ولقد قال – مرة –:

إذا كان يوم القيامة زين عرش رب العالمين بكلّ زينة، ثم يؤتى بمنبرين من نور طولهما مائة ميل، فيوضع أحدهما عن يمين العرش، والآخر عن يسار العرش، ثم يؤتى بالحسن والحسين فيقوم الحسن على أحدهما والحسين على الآخر، يزيِّن الرب تبارك وتعالى بهما عرشه كما يُزَيِّنُ المرأةَ قرطاها [۳] .

وعن الرضا عن آبائه عليه وعليهم السلام، قال: قال رسول الله:

الولد ريحانة وريحانتاى الحسن والحسين [۴] .

وعن رسول الله (ص): من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى [۵] .

وعنه (ص): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة [۶] .

وروى عمران بن حصين عن رسول الله (ص) أنه قال له: يا عمران بن حصين! إن لكلّ شيء موقعاً من القلب، وما وقع موقع هذين من قلبى شيء قط..

فقلت: كل هذا يا رسول الله!

قال: يا عمران وما خفى عليك أكثر، إن الله أمرنى بحبّهما [۷] .

وروى أبو ذر الغفارى قال: رأيت رسول الله يقبِّل الحسن بن علىّ وهو يقول:

من أحب الحسن والحسين وذريتهما مخلصاً لم تلفح النار وجهه، ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلاّ ان يكون ذنباً يخرجه من الإيمان [۸] .

وروى سلمان فقال: سمعت رسول الله يقول فى الحسن والحسين:

اللهم إنّى أُحبُّهما فأَحبَّهما وأَحبب من أحبَّهما...

وقال: من أحبّ الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار [۹] .

وما إلى ذلك من أقوال مضيئة نعلم – علم اليقين – أنها لم تكن صادرة عن نفسه، بل عن الوحى الذى لم يكن ينطق إلاّ به.

ولازالت عناية الرسول تشمل الوليد حتى شبّ، وقد أخذ من منبع الخير ومآثره، فكان أهلًا لقيادة المسلمين. وهكذا رآه الرسول ومن قبله إله الرسول، إذ أوحى إليه أن يستخلف عليّاً، ثم حسناً وحسيناً، فطفق يأمر الناس بمودَّتهم واتِّباعهم واتخاذ سبيلهم. ولئن شككنا فى شيء فلن نشكك فى أن من رباه الرسول، كان أولى الناس بخلافته.

بعد فقد الرسول:

وكان للحسن (ع) من العمر زهاء ثمانيهٔ أعوام حينما لحق الرسول (ص) بالرفيق الأعلى (فى السنهٔ الحاديهٔ عشرهٔ من الهجرهٔ) فأثَّر فى قلبه ألم الفاجعهٔ، وأضرم فيه نيران الكآبهٔ والحزن.

ولانصراف دفهٔ الحكم عن أمير المؤمنين (ع)، الذى كان له الحق الشرعى فيها، أحسّ الحسن (ع) بمزيد من الحزن والغيظ، لا لأن والده حُرم حقّاً هو له، أو منصباً هو أهله، أو زوى عنه من الدنيا ما كان لهم.. كلا، لأنّه كان يرى أن انحراف المسلمين عن الجادهٔ، يعنى انحدارهم إلى هوهٔ الضلال بعد انتشالهم عنها، ورجوعهم إلى مفاسد الجاهليهٔ، بعد تخلصهم منها، لذلك حزن واشتد حزنه.

وذات يوم دخل المسجد فرأى الخليفهٔ الأول يخطب فى الناس على منبر جده، بل أبيه، فثارت فى فؤاده لوعهٔ وكآبهٔ، فانقلبت إلى غيظ وسخط، فاخترق الجميع حتى بلغ المنبر قائلًا: انزلْ، انزلْ عن منبر أبى..؟

فسكت الخليفهٔ الأول:

وكرر الحسن (ع) يقول: وقد تقدم إلى المنبر شيئاً: انزل، إياك أَعنى. فقام صحابى، وضمّ الحسن (ع) إلى نفسه يُسكت عنه الروع، وساد الصمت حيناً، ثم اخترقه الخليفهٔ الأول وهو يقول: صدقتَ فمنبر أبيك، ولم يزد شيئاً. ولكنه عاتب عليّاً (ع) بعد ذلك وقد ظن أنه أثار الحسن عليه، بيد أن الإمام (ع) حلف له أنه لم يفعل.

ونلتقى بالحسن (ع) بعد هذا الحادث بثلاث وعشرين سنهٔ حينما اندلعت الثورهٔ الجامحهٔ من المسلمين تطالب الخليفهٔ الثالث بخلع نفسه من الخلافهٔ.. والثورهٔ كانت تضطرم شيئاً فشيئاً، وينضم إليها المسلمون أفواجاً وأفواجاً.. وقد اشتد بهم الحنق على سياسهٔ الخليفهٔ وسلوك تابعيه، وكانت الثورهٔ تنقاد بأمر العظماء من أصحاب الرسول (ص) وزعماء المسلمين، أمثال عمار بن ياسر، ومالك بن الحارث (الأشتر)، ومحمد بن أبى بكر، غير أنه انضوى تحت ألويتهم عدهٔ غير قليلهٔ من سواد الشعب من العراق، ومصر وطائفهٔ من الأعراب، ولم يكن هؤلاء - طبعاً - ذوى سداد فى الرأى، وحنكهٔ فى التجربهٔ بل أُولى نخوهٔ ومصالح.. واشتد أمر الثورهٔ، حتى حاصروا دار عثمان يطالبونه: إما أن يخلع نفسه وإما أن يلبى دعوتهم. وأبى عثمان إلاّـ الإعتماد على جيش معاويهٔ. الذى استنجده وذلك الجيش كان قد أمره معاويهٔ بالوقوف خارج المدينهٔ حتى يأذن له بدخولها.

وذات يوم أراد الإمام أمير المؤمنين على (ع) أن يخبر عثمان بعزمه على الدفاع عنه، والمشورهٔ له والنصح للعالم الإسلامى، إن أراد ذلك.. ولكن من يبلّغ هذه الرسالهٔ إلى عثمان، وحول بيته عشرات الألوف يهزون الرماح ويسلّون السيوف. فقام الحسن (ع) قائلا: أنا لذلك. ثم أخذ يخترق الجميع فى عزيمهٔ الشجاع العظيم، حتى أتى دار عثمان، فدخلها بكلّ طمأنينهٔ وبلَّغ رسالهٔ والده، وجلس ينصحه ويشير عليه بالخير غير مبالٍ بما يثيره الثوار خارج البيت من صلصلهٔ سيوف، ودمدمهٔ سروج، ودغدغهٔ رماح. فإنهم كانوا فى حالهٔ صَرَع، لا يؤمن أن يخترقوا الدار، فيقتلوا من فيها، وفيها الحسن. غير أنه جلس رابط الجأش ثابت العزيمهٔ، شجاع الفؤاد، لأنه علم أنه إن أصيب بشىء ففى سبيل النصح فى سبيل الله ودفع غائلهٔ الفتنهٔ عن المسلمين.

وهكذا جلس حتى أتمّ واجبه وبلّغ رسالته، ورجع يخترق جموع الثوار مرهٔ أخرى..

وحيناً آخر نجد الإمام الحسن (ع)، وقد قتل عثمان وازدحمت الحوادث من بعده، يرى من هنا معاويهٔ يدعو إلى نفسه، ومن هنا الناكثون يحشدون الجيوش تحت قميص عثمان، وقد أُخرجت زوجهٔ الرسول (ص) فى الموكب لتنتقم.

والإمام الحسن (ع) كان يومئذ فتىً له كلّ مؤهلات القيادهٔ والوصايهٔ، وقد كان له الحظ الأوفر بعد أبيه فى تسيير القضايا وتدبير الأمور، والعالم الإسلامى آنذاك أحوج ما يكون إلى تدبيره وسياسته، لأن خطأهٔ واحدهٔ كانت كفيلهٔ بإبادتها رأساً.. والإمام أمير المؤمنين كان يتردد بين أمرين ما أصعب الإختيار بينهما. وهما أن يقعد ويتقاعس عن الحرب وقد أرادها له خصومه ليستولى على الأمور أولو المطامع والشهوات. أو أن يحارب - وقد فعل - وفى الحرب مذبحهٔ المسلمين..

ولا يهمنا من ذلك إلاّ أن الإمام الحسن (ع) عاش تجارب والده الذى كانت تجاربه بنفسه. حيث إن والده العظيم كان يشاطره أمور

الخلافة كلها لسببين:

أولاً: لِمَا كان فيه من الكفاءة والمقدرة.

ثانياً: لكى يهدى الناس إلى الإمام من بعده، وليروا فى نجله العظيم القائدَ المحنَّكَ الحازمَ، والحاكمَ العادل الرؤوف. ففى اليوم الذى بويع والده بالخلافة كان عليه أن يرقى المنبر على عادة الخلفاء من قبله ليبين سياسته، لكى يكون الناس على خبرة وعلم. هكذا روت الأحاديث أنه (ع) استدعى الحسن (ع) ليصعد المنبر لئلا- تقول قريش من بعده إنه لا- يَحسن شيئاً، هكذا كما صرح بذلك أمير المؤمنين ذاته. فصعد المنبر، ووعظ الناس وأبلغ، ثم راح الإمام يردد فضائل السبطين على الملأ العام.

وظلّ الحسن (ع) الساعد المتين لوالده العظيم، فى تلك الفتنة الكبرى، التى رافقت خلافة على (ع)، نعم ففى فتنة البصرة بعث الإمام نجله على رأس وفد فيه عبد الله بن العباس، وعمار بن ياسر وقيس بن سعد، يستنفر أهل الكوفة لحرب الغدرة من أصحاب الجمل، وقد حمل معه كتاباً عن أمير المؤمنين فيه عرض خاطف عن قصة مقتل عثمان، وبيان الحقيقة فى ذلك.. فجاء الإمام، يريد استنهاض الناس الذين كانت، ولازالت، ولاتها تثبطهم عن الخروج مع الإمام فعاتب أولاً أبا موسى الأشعرى المراوغ، على تثبيط الناس، وكان يومئذٍ والياً على الكوفة، ثم تلا عليهم الكتاب بنصه:

إنى خرجت مخرجى هذا، إمّا ظالماً وإمّا مظلوماً، وإمّا باغياً وإمّا مبغيّاً عَلَىّ، فأُنشد الله رجلاً بلغه كتابى هذا إلاّ نفر إلىَّ، فإن كنت مظلوماً أعاننى، وإن كنت ظالماً استعتبنى.

ثم أخذ يحثهم على الجهاد وهو يقول على ما فى بعض الروايات:

أيها الناس إنّا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنّة رسوله، وإلى أفقه من تفقه من المسلمين، وأعدل من تعدلون، وأفضل من تفضلون، وأوفى من تبايعون، من لم يعبه القرآن، ولم تجهله السنّة، ولم تقعد به السابقة. إلى من قرَّبه الله تعالى ورسولُه، قرابتين: قرابة الدين، وقرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كلِّ مأثرة. إلى من كفى الله به ورسوله، والناسُ متخاذلون. تقرَّب منه والناس متباعدون، وصلى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم مُحجمون، وصدَّقه وهم يكذبون؛ إلى من لا ترد له راية ولا تكافأ له سابقة.

وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحقّ ويأمركم بالمسير إليه، لتؤازروه وتنصروه على قوم نكثوا راية بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثّلوا بعمُاله، وانتهبوا بيت ماله، فأشخصوا إليه رحمكم الله، فأمروا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون...

هكذا أتم المقطوعة الأولى من خطبته.. فبيَّن لهم أولاً دستور صاحب الدولة، بنص الكتاب الذى أرسله الخليفة، ثم راح يبيِّن شخصية الداعى لهم حتى يأتمنوه على دينهم ودنياهم. ثم أخذ ببيان جانب الفتنة ليبعث فيهم الروح الإنسانية التى تحثهم على الدفاع عن المقدَّسات، وأخيراً تكلم معهم عن الناحية الدينية، فأبلغ بذلك كمال مراده.

ثم أَتبع هذه الخطبة، بأخرى، ألهب فيها حماساً، ودعا إلى الجهاد، ولازال بهم حتى إحتشد منهم جمع كثير، وكان هناك تدابير أخرى تتبع هذه الخطب، وتنفذها.

وسار الجيش إلى البصرة، والتقى الفريقان والتحم الجيشان، ورأى الإمام: أن الراية المعادية هى المركز الذى يجب أن يقصد، فإن وقعت فالعدو منهزم، وإن بقيت فإن فى ذلك مقتلاً كبيراً من الفريقين ولا يريد ذلك الإمام (ع).

فتوجه إلى محمد بن الحنفية - نجله الشجاع الصنديد الذى كان مضرب المثل فى الناس بالقوة والشجاعة - يأمره بالإقدام، ومحاولة اسقاط العلم، وقد كانت تلك المحاولة صعبة جدّاً، حيث إن الجيوش كانت تعتبر العلم كلّ شىء فى نصرها أو هزيمتها، فكانت تدافع عنه بما أوتيت من قوة وبأس.

فأقدم محمد فى عزيمة ثابتة، بيد أنه لم يَخْطُ خُطوات حتى عرف الخصم مناوءه، فجعل الجيش كله يُمطر عليه السهام، فإذا به يجد

نفسه تحت وابل من النبال، فرجع إلى مركز القيادة عنـد أمير المؤمنين.. فزجره الإمام فأجاب: إنه إنما صبر حتى يخف النبل وثم يتابع زحفه وهنا يكتب بعض الرواة: أن الإمام عزم على إنجاز المهمـة بنفسه، بيد أن الإمام الحسن قام يكفيه ذلك، فقال له والده، بعد تردد ربما كان ناشئاً عن محافظته الكبيرة على حياة السبطين لأنه كان ينحدر منهما نسل النبى (ص)، فإذا استشـهد فمن الذى يحفظ نسـب النبى (ص)؟. ومن الذى يكون إمتداداً له؟

قال له بعد أن تردد بعض الوقت: سر على اسم الله.

واقتحم الإمام خضم الجيش.. فتقاطرت عليه النبال، وعلى (ع) ينظر إليه عن كثب، ومحمـد على جنبه يرق.. ولم يزل الحسن (ع) يغيب فى لجج الرجال ويطفو عليها حيناً آخر، حتى بلغ مركز الراية فأسقطها، وهزم الجيش وتمّ النصر على يده (ع).

.. ولو ظللنا نتابع الأحـداث التى جرت على خلافة أمير المؤمنين.. نتحسـس عن شخصـية الإمام الحسن (ع)، لطال ذلك بنا كثيراً، لأنها كانت الشخصية الثانية فى تلك الأحداث الرهيبة، ولها من اللمعان والوضاءة ما يبهر الأبصار ويُدهش العقول.

## عهد امامته

وتمت المؤامرة الكائدة باغتيال الإمام أمير المؤمنين (ع) فى التاسع عشر من شهر رمضان.. سنة أربعين هجرية.. والعالم الإسلامى يومئذٍ فى أشد ما يكون من الإضطراب والتوتر.

فها هنا الخوارج ظلّ بقايا منهم هنا وهناك يـدعون الناس إلى حكم الله الذى لا يتعلق بأى من القيادتين الشامية والكوفية – فى زعمهم – بل يعيش بغير قيادة!! وانضوى تحت لوائهم الكثيرون من القشريين والمفسدين، ممن لم يكن يعجبه الحقّ المتمثل فى معسكر الإمام على ولا نوع الباطل فى معسكر الشام. وكان هؤلاء يستسهلون فى سبيل إبادة الحكم، كلّ صعب، ويبرِّرون كلّ فساد.

وهناك فى الشام، يحشـر معاويـة جيشه لتجريـد حملة عسـكرية أخرى على الكوفة يكون فيها الفصل، ويكتب إلى عماله يقول ما هذا نصه بالحرف:

من عبـد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان، ومَن قِبَلَه من المسـلمين، سـلام عليكم.. فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلّا هو. أما بعـد فالحمـد لله الـذى كفاكم مؤنـة عـدوكم فتركـ أصـحابه محرَّفين مختلفين، وقد جاءنا كتب أشـرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسـهم وعشائرهم. فأَقْبِلُوا إلىَّ حين يأتيكم كتابى هـذا بجهـدكم وجندكم، وحشد عدتكم. فقد أصـبتم بحمد الله الثأر وبلغتم الأمل، وأهلّ الله أهل البغى والعدوان. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [٢٨] – [٢٩] .

أما الخـوارج فـإنهم وإن كـانوا سوف يؤيونه ضـد معاويـة، إلاّـ أنهم سوف لايزيـدونه غير تخسـير، لأـنهم لايعتقـدون به كمـا أنهم لا يعتقدون بمعاوية سواءً بسواء.

ولنلق نظرةً إلى بيت الإمام على (ع)، لنرى كيف يخبت فيه نور الإمام وسـناؤه، ليدفن مع جثمانه الطاهر فى ظهر الغرىّ فى خفاء، وعلى أشـد الحـذر من الخـوارج أن يعرفـوا مرقـده، فيفكروا فى الإنتقـام لصـاحبهم (ابن ملجم) الـذى أحرق جثمـانه، ولخـوفهم ومن غيرهم كجواسيس بنى أمية الذين لايفترون عن نقل الأخبار إلى الحزب الأموى [٣٠] .

ثم يرجع المشـيعون من أبنـاء على (ع) وأقربـائه، ولاـ يزالون يقيمون العزاء إذ يـدخل عليهم عبيـد الله بن العباس، الـذى كان والياً على البصـرة من قِبَلِ على (ع).. فيخرج الحسن إلى المسـجد والمسـلمون ينتظرون مقـدمه على أحرّ انتظار.. ذلك لأنه قبل أن يـدخل على الإمـام، وقف فى الرأس خطيباً، وقـال: إن أمير المؤمنين تُوُفّى وقـد تركـ لكـم خَلَفاً فان أجبتم خرج إليكم وإن كرهتم فلا لأحـد على أحد.

فضـج النـاس بالبكـاء والعويـل، وكأن قول ابن العباس فجَّر ينابيع الكآبـة والحزن فى القلوب، ثم نادوا بأعلى أصواتهم: بل يخرج إلينا، فخرج إليهم الإمام الحسن (ع)، وحمد الله وأثنى عليه، ثم أبّن فقيد العالم الإسلامى، وقال:

لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله (ص) فيقيه بنفسه، وكان رسول الله (ص) يوجهه برايته فيكنفه جبرئيل (ع) عن يمينه وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه. ولقد تُوفى فى هذه الليلة التى عرج فيها عيسى ابن مريم، وقبض فيها يوشع بن نون وصى موسى (ع). وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم، فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله...

ثم خنقته العبرة، فبعث بأنفاسه زفرات يهز الصخر لها لوعةً وأسىً، وارتفع من الناس حسرات تبعتها آهات وآهات، ثم قال:

أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن على وأنا ابن النبى، وأنا ابن الوصى، وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن الداعى إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذى كان جبرئيل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل بيت افترض الله مودَّتهم عى كلّ مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيِّه (ص): قل لا أسألكم عليه أجراً ومن يقترف حسنة نزد له منا حسناً. فاقتراف الحسنة مَوَدَّتُنا أهل البيت.

وهكذا انهالت الجماهير إلى بيعة الإمام الحسن (ع)، عن رضاً وطيب نفس، لانهم رأوا فيه المثال الفاضل لمؤهلات الخليفة الحق، (وعلى كلِّ حالٍ يجب أن يكون إمام المسلمين مختاراً من قبل الله تعالى منصوصاً عن لسان النبى (ص) قمة فى المكرمات والفضائل، أكفأ الناس وأورعهم وأعلمهم والحسن (ع) كذلك، قد توفرت فيه شروط والى أمر المسلمين بأكمل وجه وأحسنه. وهو صاحب النص المأثور عن الرسول العظيم: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.. وهو الذى شهد والده فى حقه فقال:

هم يعنى آل الرسول عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه. هم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق فى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية؛ فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل.

.. وبايعه الناس بعد أن حضّهم عليها خيار الصحابة والأنصار، فقد قال فى ذلك عبيد الله بن العباس: معاشر الناس هذا ابن نبيِّكم، ووصى إمامكم فبايعوه.

.. وكان للإمام الحسن (ع) حُبٌّ فى القلوب نابعٌ عن صميم قلوب المسلمين.. وقد اتَّخذ اصله عن حُبِّ النبيِّ (ص) له، وحُبِّ الله تعالى لمن أَحَبه النبى.

أضف إلى ذلك، ما كانت تقتضيه الظروف، من رجل يقابل معاوية ومن التفَّ حوله من الحزب الأموى الماكر.. وله من كفاءة القيادة، وسداد الرأى، والمودة فى قلوب المسلمين.

لذلك أسرع المسلمون إلى بيعته قائلين: ما أَحبه إلينا، وأوجب حقَّه علينا، وأحقه بالخلافة.

وجاء فى مقدمة الزعماء المجاهدين الأنصارى الثائر، قيس بن سعد فبايعه وهو يقول:

(أبسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيه.. وقتال المحلين!).

فقال له الإمام: على كتاب الله وسنّة نبيه، فإنهما يأتيان على كلّ شرط.

.. وتمت البيعة، فى العقد الثالث من شهر رمضان المبارك بعد أربعين عاماً من الهجرة النبوية.. وكلما دخل فوج يبايعونه قال لهم: تبايعون لى على السمع والطاعة، وتحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت...

.. فلما استوى الإمام (ع) على الحكم، فُرضت عليه مسؤولية حسم الخلاف بين المعسكرين، الذى كان فى طريقه إلى هدِّ ركن الإسلام هدّاً، حيث إن الكفار فى أطراف البلاد الإسلامية كانوا يتربصون بها الدوائر حتى إذا رأوا ضعفاً أو ثغرة سدّدوا ضربة مؤلمةٌ عليها.

هذا من جانب، ومن جانب آخر كانت أنباء جيش الشام تذاع فى الكوفة والبصرة وسائر البلاد مع شىء من المبالغة. وكان الجميع يعلم أن حرباً وشيكة تنتظرهم.

وعندما حشد معاوية جيشه الجرار الذى انتهى عدده إلى ستين ألفاً، وقاده هو بنفسه بعد ما استخلف مكانه الضحاك: فكان على الإمام

(ع) أن يحشد قوة الحق أيضاً لتقابل جولة الباطل، بيد أنه رأى أن يراسله قبل ذلك، إتماماً للحجة وقطعاً للعذر.

فأرسل إليه كتاباً، هذا بعضه:

فلما تُوفى (أىّ رسول الله (ص)) تنازعت سلطانه العربُ، فقالت قريش نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه، فرأت أن القول ما قالت قريش وأن الحجة فى ذلك لهم على مَن نازعهم أمر محمد فأنعمت [٢٢] لهم وسلَّمت إليهم، ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاججت به العرب فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها. إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والإحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاججتهم وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالإجتماع على ظُلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولى النصير.

ثم قال: فاليوم فليتعجب من تَوَثُّبِك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل فى الدين معروف، ولا اثر فى الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله (ص) ولكتابه، والله خصيمك فَسَتَرِدُ وتَعلم لمن عقبى الدار. وبالله لَتَلقينَّ عن قليل ربك ثم ليجزينَّك بما قدَّمت يداك وما الله بظلَّام للعبيد..

.. وقال: وإنما حملنى إلى الكتابة إليك، الإعذار فيما بينى وبين الله عزَّ وجلَّ فى أمرك، ولك فى ذلك إن فعلته الحظ الجسيم، والصلاح للمسلمين، فدع التمادى فى الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فإنك تعلم انى أحق بهذا الأمر منك عند الله، وعند كلّ أواب حفيظ، ومن له قلب منيب. واتق الله ودع البغى، واحقن دماء المسلمين. فوالله مالك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادخل فى السلم والطاعة، ولا تُنازع الأمرَ أهلَه ومَن هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلاّ التمادى فى غيك، سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين...

.. وبعد ما تُبودلت الرسائل بين القيادتين.. ومنها رسائل الحسن (ع) تقوم بالحجة الدامغة التى ملاكها النقد والتجربة، ورسائل معاوية التى تقوم على المراوغة وإعطاء العهود والمواثيق على تقسيم بيت المال على حساب الوجاهات والمراتب القبلية الزائفة بعد ذلك وردت الأنباء بخبر احتشاد الجيش الأموى وابتدائه بالمسير إلى الكوفة، وكان على الإمام (ع) أن يتصدى لمقابلته، ولكنّ طريقة تعبئة الجند عند الإمام كانت تختلف كثيراً عن طريقة معاوية فى ذلك. فمعاوية كان ينتقى ذوى الضمائر الميتة، والقلوب السود، فيشتريها بأموال المسلمين، وكان يستدعى بعض النصارى فيغريهم بالأموال الطائلة لمحاربة الإمام، وهم آنذاك لايرون فصيلاً من ذلك لأنهم كانوا يرون فى شخص الإمام (ع) المثال الكامل للإسلام، ذلك الدين الذى يبغضونه ويعادونه.

أما الإمام (ع)، فإنه كان يلاحظ فى الجند أشياء كثيرة. فلم يكن يطعم اصحاب الوجاهة ويترك السواد يتضورون جوعاً. ولم يكن يعد الناس بالوعود الفارغة ثم يخلفها بعد أن يستتب له الأمر. ولم يكن يهب ولاية البلاد المختلفة بغير حساب لهذا أو ذاك، ولا كان يحمل الناس على الحرب حملاً قاسياً وهم لها منكرون.. ولم يكن يبيح للجند الفتك، وهتك الحرمات وابتياع الاسرى، وهو (ع) يعتبر عدوه فئة باغية من المسلمين يجب أن تُردع بأحسن طريقة ممكنة، ولكن معاوية وحزبه كانوا يرون مقابليهم عدواً سياسيّاً يجب أن يُمزق بأى أسلوب.

ولذلك فقد كان جمع الجيش ميسراً عند معاوية، وعلى عكس الأمر عند الإمام (ع) حيث كان ذلك من الصعوبة بمكان.

ولطالما أشار عليه بعض أصحابه بأن يتَّبع منهج معاوية فى ذلك فأبى وأنكر عليهم الميل إلى الباطل والإنحراف عن الحق.

وقد كتب إليه عبيد الله بن العباس واليه على البصرة يقول:

أما بعد، فإن المسلمين ولَّوك أمرهم بعد على (ع) فشمر للحرب وجاهد عدوك، وقارب أصحابك واشترِ من الظنين دينَه بما لا يلثم لك دنياه، وولِّ أهل البيوت والشرف تستصلح به عشائرهم، حتى يكون الناس جماعة، فإن بعض ما يكره الناس مالم يتعد الحق، وكانت عواقبه تؤدّى إلى ظهور العدل وعزّ الدين؛ خير من كثير مما يحبه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور، وذل

المؤمنين وعزّ الفاجرين، واقتدِ بما جاء عن أئمة العدل، فقد جاء عنهم أنه لايصلح الكذب إلّا في حرب أو إصلاح بين الناس، فإن الحرب خُدعة، ولك في ذلك سعة إذا كنت محارباً مالم تبطل حقّاً.

وإعلم أن عليّاً أباك، إنما رغب الناس عنه إلى معاوية أنه آسى بينهم في الفيء، وسوَّى بينهم في العطاء فثقل عليهم. وإعلم أنك تحارب مَن حارب الله وَرسوله في ابتداء الإسلام، حتى ظهر أمر الله. فلما وُحِّدَ الرب ومُحق الشرك وعَزَّ الدين، أظهروا الإيمان وقرأوا القرآن، مستهزئين بآياته، وقاموا الى الصلاة وهم كسالى، وآتوا الفرائض وهم لها كارهون.

ثم راح ابن العباس يستعرض الوضع الإجتماعي والمساوئ التي فيه، وبيَّن طبيعة البيت الأموي وماضيه وحاضره هذا.. ولكن الإمام (ع) أبى إلّا أن يلزم الحقَّ شرعةً ومنهاجاً، ويتّبع السبيل القويم، أبداً ودائماً.

ومع ذلك فقد حشّد من أهل الكوفة عدداً كبيراً، ولم يهمنا تحديده وضبطه، ولكن الذي يهمنا تحليل نفوس المنتسبين إليه، ومَن كانوا، ولِمَ جاؤوا وماذا كانت النتيجة؟

لقد قسّم المؤرخون جيشه إلى أقسام:

۱- الشيعة المخلصون الذين اتَّبعوه لأداء واجبهم الديني، وإنجاز مهمتهم الإنسانية، وهم قلة.

۲- الخوارج الذين كانوا يريدون محاربة معاوية والحسن، فالآن وقد سنحت الظروف فليحاربوا معاوية حتى يأتي دور الحسن (ع).

۳- أصحاب الفتن والمطامع الذين يبتغون من الحرب مغنماً لدنياهم.

۴- شكّاكون لم يعرفوا حقيقة الأمر من هذه الحرب، فجاؤوا يلتمسون الحجة لأيٍّ تكون، يكونون معه.

۵- أصحاب العصبية الذين اتبعوا رؤساء القبائل على استفزازهم لهم على حساب القبيلة والنوازع الشخصية.

هذه هي العناصر الأصيلة للجيش، وهي طبعاً لا تفي لإنجاز المهمة التي تكون من أجلها، حيث إن الحرب تريد الإيمان، والوحدة، والطاعة.

ثم بعث بأول سريّة لتشكِّل مقدمة الجيش تحت إمرة عبيد الله بن العباس، الذي فُضل لهذه المهمة من جهات شتى:

أولاً: لأنه كان الداعية الأول للحرب.

وثانياً: لأنه كان ذا سمعة طيبة في الأوساط.

وثالثاً: لأنه كان موتوراً بولديه العزيزين الذين قتلهما جنود معاوية. ثم إنه كان يشده إلى الإمام القرابة. وزحف ابن العباس بالجيش إلى (مسكن [۲۳] على نهر دجلة) التقى بمعسكر معاوية، ينتظر تلاحق السريّات الأخرى من الكوفة.

وفي الكوفة، خليط من الناس مختلفون، فهناك من أنصار معاوية الذين أفسدتهم هدايا الحزب الأموي ومواعيده، وهناك بعض الخوارج القشريين، وهناك من يثبط الناس عن الجهاد، وهناك أهل البصائر يُلهبون حماس الشعب، ويحرضونهم لقتال أهل البغي بشتى أساليب الاستنهاض. والإمام الحسن (ع) لايزال يبعث الخطباء المفوَّهين، والوجهاء البارزين إلى الأطراف، يدعوهم إلى نصرته، ولا يزال أيضاً يُلهب أفئدة الكوفيين بالخطبة إثر الأخرى.

ولكن أهل الكوفة كانوا باردين كالثلج أمام هذه الدعوة، لأن الحروب الطاحنة التي سبقت عهد الإمام (من الجمل إلى صِفّين والنهروان) قد أنهكتهم، وقد أعرب الإمام الحسن نفسه في مناسبة عن هذه العلة التي تثبط عزيمة أهل الكوفة عن الخروج معه فقال:

وكنتم في مسيركم إلى صفّين ودينُكم أَمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أَمام دينِكم. وأنتم بين قتيلَين، قتيلٍ بصِفّين تبكون عليه، وقتيلٍ بالنهروان تطلبون بثأره. فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر.

وبالرغم من معاكسة كلّ الظروف، فإن أصحاب الحق قرروا اقتحام غمار الجهاد المقدس، علَّهم يكونون الفاتحين.

ولكنها فعلتْ مكائدُ معاوية فعلَها، حيث كان قد سخّر طائفةً غير قليلة من ذوي الأطماع، يدبرون له مؤامراته، فيبثون الشائعات عن قوة جيش الشام، وقلة جند الكوفة، وضعفه، وعدم القدرة على مقاومته، وعملت الدنانير والدراهم عملها الخبيث الأرعن، فإذا بالعدة

المعتمد عليها من قواد جيش الإمام الحسن (ع) ينهارون أمام قوة إعلام معاوية، أو قوة إغرائه.

ورغم أن قيادة السرية من جيش الإمام، كانت حكيمة، تحت لواء عبد الله بن العباس فقد ذهبت ضحية مكر معاوية، وتغرير القائد، وإليك القصة:

أرسل الإمام ابن عمه لملاقاة معاوية وكتب إليه هذه الوصية:

يا ابن العم، إني باعث إليك اثنَى عشر ألفاً، من فرسان العرب، وقَرّاء مصر، الرجل منهم يريد الكتيبة. فِسِرْ بهم وأَلِنْ لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأَدْنِهم من مجالسك، فإنهم بقية ثقاة أمير المؤمنين. وَسِرْ بهم على شط الفرات، ثم امضِ حتى تستقبل معاوية. فإن أنت لقيته فاحتبسه حتى آتيك، فانى على أثرك وشيكاً. وليكن خبرك عندى كلّ يوم، وشاور هذَين - يعنى قيس بن سعد، وسعيد بن قيس - فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله، حتى يقاتلك، فإن فعل فقاتله؛ وإن أُصبتَ فقيس بن سعد على الناس، فإن أُصيب فسعيد بن قيس على الناس [۲۴].

ثم سار بنفسه - بعد أيام - فى عدد هائل من الجيش، لعله كان ثلاثين ألفاً أو يزيدون، حتى بلغ مظلم ساباط، التى كانت قريبة من المدائن، فعملت دسائس معاوية فى مقدمة جيش الإمام، فأذيع بين الناس نبأ كان له أثر عميق فى صفوف الجيش. وكان النبأ يقول: (إن الحسن يكاتب معاوية على الصلح فَلِمَ تقتلون أنفسكم؟) ثم أخذ يستميل قادة الجيش بالمال والوعود، فإذا هم يتسللون إليه فى خفاء، ويكتب عبيد الله نبأ ذلك إلى الإمام. ولكن مؤامرته تلك لم تكن بذات أهمية، حتى اشترى ضمير القائد الأعلى فكتب إليه يقول:

إن الحسن قد راسلنى فى الصلح، وهو مسلِّم الأمر إلىّ، فإن دخلت فى طاعتى الآن كنت متبوعاً، وإلّا دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتنى الآن أعطيك ألف ألف درهم أعجِّل لك فى هذا الوقت نصفها وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر.

إن معاوية مكر بعبيد الله بثلاثة أساليب، فإنه قال له:

أولًا: إن الحسن يراسله فى الصلح، وهذه أول ما هدت أركان عبيد الله فقال فى نفسه: إذن فلم أُسىء سمعتى فى التاريخ، وأحمل خطيئة الدماء التى تهراق تحت لوائى. ثم قال له:

ثانياً: كن متبوعاً، فغره بالرئاسة. وأخيراً وعده بمليون درهم وهذا الأخير كان أهم الثلاثة، فى شخص ألزمه إمامه بالعدل، والمساواة مع أقل الناس.

فأنسلّ عبيد الله القائد العام دون أن يخبر أحداً، فأصبح الجيش يبحث عن القائد ليقيم بهم صلاة الصبح فلا يجده، فقام قيس الثانى للجيش يصلى بالناس الصبح، ثم لما انتهى خطب فيهم يهدئ روع الناس، ويُطمْئن قلوبهم ويقول:

إن هذا وأباه لم يأتوا بيوم خيراً قط، إن أباه عمُّ رسول الله، خرج يقاتله ببدر، فأسره كعب بن عمرو الأنصارى، فأتى به رسول الله (ص) فأخذ فداءه، فقسّمه بين المسلمين، وإن أخاه ولاه علىٌّ على البصرة فسرق ماله، ومال المسلمين، فاشترى به الجوارى، وزعم أن ذلك له حلال. وإنَّ هذا ولّاه علىّ على اليمن، فهرب من بسر بن أرطاة وترك ولده، حتى قتلوا وصنع الآن هذا الذى صنع.

فإذا بالجيش يصبح مؤيداً.

الحمد لله الذى أخرجه من بيننا. إلّا انّ هذا الجيش الذى هرب قائده إلى معسكر العدو، لم يكن فى وضع يقاوم جيش معاوية لذلك تفرق أكثره ولم يبقَ منه إلّا ربع عدده أربعة آلاف فقط.

وان هذا العدد الهائل الذى انتقص من اثنى عشر بعث الخيبة فى نفوس الجند فى المقدمة، كما بعث الخيبة فى نفوس سائر الجيش الثاوى فى مظلم ساباط، حيث كان الإمام وحيث كان الجيش الذى انتشرت فيه دعايات معاوية، التى لازالت تُبث فيه عبر جواسيسه. وبدأ بعضهم يتسللون إلى معاوية وكتب بعضهم إليه أن لو شئت جئنا بالحسن إليك أسيراً، ولو شئت قتلناه. وجاءت عطايا معاوية التى زادت على مئة ألف غالباً، ووعوده بتزويج بناته لهذا القائد أو ذاك.

وهكـذا نسـتطيع أن نعرف مـدى ضـغط الظروف التى أجبرت الإمام (ع) على الصـلح، من هذه الخطبة اللاهبة، التى ألقاها على مسامع المساومين بالضـمائر، الذين كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة من جيشه (ع). ويظهر من هذه الخطبة أنهم كانوا متأثرين بدعايات معاوية إلى حد بعيد، حيث كانوا يلحُّون على الإمام بالتنازل عن حقه ومبايعة معاوية والإمام يأبى عليهم ذلك، كما يظهر أنه كان من الوجهاء مَنْ فَكَّرَ فى اغتيال الإمام، كما اغتال صاحبُه أباه (ع).

وبعـد كلّ ذلك كانت الظروف تُكره الإمام على الصـلح مع معاويـة إلى أجل هم بالغوه، فكتب إلى معاويـة أو كتب إليه معاوية، على اختلاف بين المؤرخين فى شأن الصلح، ورضى الطرفان بذلك بعد أن اتفقا على بنوده التى لم تكن ترجع إلى الإمام إلاّ بالخير، وعلى الأمة إلاّ بالصلاح.

ومن راجع كلمـات الإمـام الحسن (ع) التى قالهـا بعـد الصـلح لأصـحابه بعـد أن أنكروا عليه ذلـك يعرف مـدى تأثر قضـيته بالظروف المعاكسة التى لم تزل ترفع إليهم بالفتنة إثر الفتنة.

لقد قال لأحدهم إذ ذاك: [۲۵] .

لستُ مُذِلاًّ للمؤمنين، ولكنى مُعِزُّهم، ما أردت بمصالحتى إلاّ أن أدفع عنكم القتل، عندما رأيت تَباطُؤَ أصحابى ونُكولَهم عن القتال.

وقال للآخر فى هذا الشأن - وقد كان من الخوارج الذين لم يكن بغضهم للحسن (ع) وشيعته بأقل عن بغضهم لمعاوية وأصحابه - قال له:

ويحك أيها الخارجى!! لا تقضِ، فإن الـذى أحوجنى إلى ما فعلت قتلكم أبى، وطعنكم إيّاىّ، وانتهابكم متاعى. وإنّكم لمّا سـرتم إلى صِفِّين، كان دينكم أمام دنياكم، وقـد أصـبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ويحك أيها الخارجى! إنى رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم، ومـا أغترٍ بهم إلاّ من ذل، وليس أحـد منهم يوافق رأى الآخر. ولقـد لقى أبى منهم أموراً صـعبة، وشدائـد مرّة، وهى أسـرع البلاد خراباً وأهلها هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً [۲۶] .

ولذلك ولغيره من الأسباب صالح الإمام معاوية وكتب إليه هذه الوثيقة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى طالب، معاوية بن أبى سفيان، صالحه على أن يسلِّم إليه ولاية الأمر على:

۱- أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين.

۲- وليس لمعاوية بن أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر بعده للحسن ثم لأخيه الحسين.

۳- وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم.

۴- وعلى أن أصـحاب على وشـيعته آمنون على أنفسـهم ونسائهم وأولادهم. وعلى معاويـة بن أبى سـفيان بـذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء وبما أعطى الله من نفسه.

۵- وعلى أن لايبغى للحسن بن على، ولا لأخيه الحسـين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله، غائلة سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم فى افق من الآفاق.

تعهد عليه فلان بن فلان، بذلك وكفى بالله تعهيداً [۲۷] .

والموثوق أن محـل الصـلح كـان مسـكن سابـاط، قريباً من موقع مدينـة بغـداد اليوم، حيث كان معسـكر الإمام الحسن (ع). فلما أن تمّ ذلك رجع الإمام بمن معه إلى الكوفة.

إستراتيجية الصلح عند الإمام الحسن (ع):

ما أكرم أبا محمّـد الحسن المجتبى (ع)، وأسـخى تضـحيته حين أقـدم على الصـلح الـذى اعتبره بعض حواريّه ذُلاًّ وزعَمَهُ أعداؤه جبناً واستسـلاماً، ولم يكن إلاّ أروع صور النصـر على الـذات، ومقاومة نزوة الهوى والمحافظة على دماء المسـلمين، وتحقيقاً لكلمة الرسول

الصادق المصدّق (ص) حين قال:

إنّ ابنى هذا سيّد، ولعلّ الله عزَّ وجلَّ يصلح به بين فئتين من المسلمين [٢٨] .

فلولا أنّ الحسن كان قدوة الصلاح، وأسوة التضحيات، وجماع المكرمات، وكان بالتالى الإمام المؤيَّد بالغيب. لتمزقت نفسه الشريفة بصعود معاوية اريكة الحكم، وهو الذى قال فيه الرسول (ص):

إذا رأيتم معاوية هذا على منبرى فاقتلوه، ولن تفعلوا.

ولولا اتصال قلبه الكبير بروح الرب إذاً لمات كمداً. حيث كان يرى تقهقر المسلمين وصعود نجم الجاهلية الجديدة.

ولولا ـ حلمه العظيم النابع من قوة إيمانه بالله وتسليمه لقضائه، إذاً ما صبر على معاوية. وهو يرقى منبر جده، ويمزق منشور الرسالة، ويسب أعظم الناس بعد الرسول.

بلى، ولكنّ الحسن (ع) آثر الآخرة على الدنيا. وقبل الصلح للاسباب التالية:

١- إن نظرة أهل البيت (ع) إلى الحكم كانت تنبع من انه وسيلةً لتحقيق قيم الرسالة. فإذا مال الناس عن الدين الحق، وغلبت المجتمع الطبقات الفاسدة، وأرادت تحويل الدين إلى مطية لمصالحهم اللامشروعة.

فليذهب الحكم إلى الجحيم.. لتبقى شعلة الرسالة متقدة، ولتصب كلّ الجهود فى سبيل إصلاح المجتمع أولاً، وبشتى الوسائل المتاحة.

لقد قال الإمام على (ع) عن أسلوب الحكم:

والله ما معاوية بأدهى منّى، ولكنه يغدر ويفجر. ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس. ولكن كلّ غُدرة فُجرة وكلّ فُجرة كُفرة، ولكلّ غادرٍ لواءٌ يُعرف به يوم القيامة. والله ما أُستغفل بالمكيدة ولا أُستّغمز بالشديدة [٢٩] .

أما عن نظرته إلى الحكم ذاته فقد رُوى عن عبد الله بن العباس أنه قال:

دخلت على أمير المؤمنين (ع) وهو يخصف نعله. فقال لى: ما قيمة هذا النعل؟.

فقلت: لا قيمة لها.

فقال (ع): والله لَهِىَ أحبُّ إلىّ من إمرتكم، إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً [٣٠] .

٢- ولقد عاش الإمام الحسن (ع) مرحلة هبوط الروح الإيمانية عند الناس، وبالذات فى القبائل العربية التى خرجت من جو الحجاز. وانتشرت فى أراضى الخير والبركات، فنسيت رسالتها أو كادت.

فهذه كوفة الجند التى تأسست فى عهد الخليفة الثانى لتكون حامية الجيش، ومنطلقاً لفتوحات المسلمين الشرقية، أصبحت اليوم مركزاً لصراع القبائل، وتسيس العسكر. وأخذ يتبع من يعطى أكثر. فبالرغم من وجود قبائل عربية حافظت على ولائها للإسلام والحق، ولخط أهل البيت الرسالى. إلاّ أن معظم القبائل التى استوطنت أرض السواد حيث الخصب والرفاه بدأت تبحث عن العطاء، حتى أنهم تفرقوا عن القيادة الشرعية، وبدأوا يراسلون المتمردين فى الشام حينما عرفوا أنّ معاوية يبذل أموال المسلمين بلا حساب، بل إنك تجد ابن عمِّ الإمام الحسن وقائد قوات الطليعة فى جيشه. عبيد الله بن العباس. يلتحق بمعاوية طمعاً فى دراهمه البالغة مليون درهم.

ونجد الكوفة تخون مرة أخرى إمام الحق الحسين (ع)، حينما يبعث إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل. فيأتيهم ابن زياد ويمنِّيهم بأن يزيد فى عطائهم عشرة. فإذا بهم يميلون إليه ويُقاتلون سبط رسول الله وأهل بيته بابشع صورة، ودون أن يسألوا ابن زياد عمّا يعنيه بكلمة عشرة. فإذا به يزيد فى عطائهم عشرة تُميرات فقط.. ولعلّهم كانوا يمنون أنفسهم بعشرة دنانير!!

لقد تعبت الكوفة من الحروب، وبدأت تفكر فى العيش الرغيد. وغاب عنهم أهل البصائر الذين كانوا يحومون حول أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ويذكِّرون الناس باليوم الآخر. ويبيّنون للناس فضائل إمامهم الحق. لقد غاب عنهم اليوم عمار بن ياسر الذى كان ينادى بين الصفين فى معركة صِفّين: الرواحَ إلى الجنة!. ومالك الأشتر الذى كان لعليٍ (ع) مثلما كان عليٌّ لرسول الله (ص) بطلاً مقداماً. وقائداً ميدانيّاً محنكاً.

وغاب ابن التيهان الـذى يعتبره الإمام على (ع) أخاً له، ويتأوه لغيابه، بلى لقـد غاب أهل البصائر من أصـحاب الرسول وأنصار على (ع) الذين كان أمير المؤمنين (ع) يعتمد عليهم فى إدارته للحروب..

وغاب القائـد المقـدام، البطل الهمام، الإمام على (ع) أيضاً، بعد أن أنهى سـيف الغدر حياته الحافلة بالأسـى، فإنه كان قد صـعد المنبر قبيل استشهاده، وقد نشر المصحف فوق رأسه وهو يدعو ربه ويقول:

ما يحبس اشقاكم أن يجىء فيقتلنى، اللهمّ إنى قد سئمتهم وسئمونى، فأَرِحْهم منّى وأَرِحْنى منهم [٢٢] .

وبالرغم من أن الإمام عليّاً كان قد جهّز جيشاً لمقارعة معاوية قبيل استشـهاده. وهو ذلك الجيش الذى قاده من بعده الإمام الحسن (ع) إلاّ أنّ خور عزائم الجيش. واختلاف مذاهبه وخيانة قواده، كان كفيلاً بهزيمته حتى ولو كان الإمام على (ع) هو الذى يقوده بنفسه..

إلاّـ أن التقـدير كـان فى استشـهاد البطـل، وأن يتم الصـلح على يـد نجله العظيم الـذى أخبر الرسول (ص) أن الله سوف يُصـلح به بين طائفتين من أمته.

ويشهد على ذلك ما جاء فى حديث مأثور عن الحارث الهمدانى قال:

لمّا مات علىّ (ع) جاء الناس الى الحسن وقالوا: أنت خليفة أبيك ووصيّه، ونحن السامعون المطيعون لك، فمرنا بأمرك فقال:

كـذبتم، والله مـا وفيتم لمن كـان خيراً منِّى، فكيف تفون لى؟. وكيف أطمئن إليكم ولاـ اثق بكم؟. إن كنتم صـادقين فموعـد مـا بينى وبينكم معسكر المدائن فوافوا هناك [٢٣] .

وماذا كان يمكن للإمام الحسن أن يصـنعه فى مثل هـذه الظروف المعاكسـة؟. هل يسـير فى جيشه بسـيرة معاويـة، ويوزع عليهم أموال المسلمين، فمن رغب عنه عالجه بالعسل المسموم؟. أم يسير بسيرة أبيه حتى ولو كلّفه ذلك سلطته.

لقد ترك السـلطة حين علم بأنها لم تعد الوسـيلة النظيفة لأداء الرسالة، وان هناك وسيلة أفضل وهى الإنسحاب إلى صفوف المعارضة وبث الروح الرسالية فى الأمة من جديد، عبر تربية القيادات، ونشـر الأفكار، وقيادة المؤمنين الصادقين المعارضين للسلطة وتوسيع نطاق المعارضة. وهكذا فعل (ع).

٣- وشـروط الصـلح التى أملاهـا الإمـام على معاويـة. وجعلها بـذلك مقياساً لسـلامة الحكم، تشـهد على أنه (ع) كان يخطط لمقاومة الوضع الفاسد، ولكن عبر وسائل أخرى. لقد جاء فى بعض بنود الصلح ما يلى:

١- أن يعمل (معاوية) بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين.

٢- وليس لمعاوية بن أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

٣- وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله فى شامهم، وعراقهم، وحجازهم، ويمنهم.

۴- وعلى أنّ أصحاب علىّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم..

۵- وعلى أن لايبغى للحسن بن علىّ ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم فى أفق من الآفاق [٢۴] .

إن نظرة خاطفـة لهـذه الشـروط تهـدينا إلى أنهـا اشـتملت على أهم قواعـد النظام الإسـلامى من دسـتورية الحكم (على هـدى الكتاب والسـنّة) وشوريّة الحكم. وإنه مسؤول عن توفير الأمن للجميع وبالذات لقيادة المعارضة، وهم أهل بيت الرسول. وقد قبل معاوية بهذه الشـروط، مما جعلها أساساً للنظام عنـد الناس. وقـد وجد الإمام بذلك أفضل طريقة لتبصـير الناس بحقيقته، وتأليب أصـحاب الضـمائر والدين عليه، حين كان يخالف بعض تلك الشروط.

قـد تحمّـل الإمـام الحسن عناءً كبيراً فى إقناع المسـلمين بالصـلح مع معاويـة، حيث إنّ النفوس التى كانت تلتهب حماساً، والتى كانت معبأة نفسيّاً ضـد معاوية، كانت تأبى البيعة معه. على أنّ القشـريين من طائفة الخوارج كانت ترى كفر من أسـلم الأمر إلى معاوية، وقد قالوا للإمام الحسن (ع): (كفر والله الرجل) [٢۵] .

وقد خطب الإمام بعد صلحه مع معاوية فى الناس وقال:

أيها الناس إنكم لو طلبتم ما بين جابلقا وجابرسا رجلاً جدّه رسول الله (ص) ما وجدتم غيرى وغير أخى. وإن معاوية نازعنى حقّاً هو لى فتركته لصلاح الأمة، وحقن دمائها. وقد بايعتمونى على أن تسالموا من سالمت، وقد رأيت أن أُسالمه، وأن يكون ما صنعت حجةً على من كان يتمنّى هذا الأمر، وإنْ أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين [۲۶] .

ومع ذلك فقد عارضه بعض أفضل أصحابه فى ذلك. فقال حجر بن عدى رضوان الله عليه له: أما والله لَوَددتُ أنك مت فى ذلك اليوم، ومتنا معك ولم نَرَ هذا اليوم، فإنا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبّوا.

ويبدو أن الإمام كره أن يجيبه فى الملأ إلّا أنه حينما خلا به قال:

يا حجر قد سمعتُ كلامك فى مجلس معاوية. وليس كلُّ إنسان يُحب ما تُحب، ولا رأيه كرأيك، وإنّى لم أفعل ما فعلت إلّا إبقاءً عليكم، والله تعالى كلَّ يوم هو فى شأن [۲۷] .

وكان سفيان من شيعة أمير المؤمنين والحسن (ع)، ولكنه دخل على الإمام وعنده رهط من الناس فقال له: السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين .

فقال له: وعليك السلام يا سفيان.

يقول سفيان: فنزلت فعقلت راحلتى ثم أتيته فجلست إليه فقال: كيف قلت يا سفيان؟

قال: قلت: السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين. والله بأبى أنت وأمّى أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مئة ألف كلّهم يموت دونك، وقد جمع الله عليك أمر النّاس.

فقال:

يا سفيان إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقَّ تمسّكنا به، وإنّى سمعت عليّاً (ع) يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا تذهب الأيّام واللّيالى حتّى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا ـ يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لايكون له فى السماء عاذر، ولا فى الأرض ناصر، وإنّه لمعاوية. وإنّى عرفتُ أنّ الله بالغ أمره.

ثم أذّن المؤذِّن فقمنا إلى حالب يحلب ناقته فتناول الإناء فشرب قائماً ثمّ سقانى وخرجنا نمشى إلى المسجد فقال لى:

ما جاء بك يا سفيان؟

قلت: حُبُّكم والذى بعث محمدّاً بالهدى ودين الحق.

قال: فأبشر يا سفيان فإنّى سمعت عليّاً (ع) يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: يرد عليَّ الحوض أهل بيتى ومَن أحبّهم من أُمّتى كهاتين - يعنى السبّابتين - أو كهاتين - يعنى السبابة والوسطى - إحداهما تفضل على الأخرى، أبشر يا سفيان، فإنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر، حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد (ص).

وفى بعض الأحيان كان الإمام الحسن (ع) يصد على أصحابه ببيعة معاوية. فحين دخل قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى صاحب شرطة الخميس الذى أسسه الإمام على (ع)، دخل على معاوية فقال له معاوية: بايع. فنظر قيس إلى الحسن (ع)، فقال: يا أبا محمّد بايعت؟. فقال له معاوية أما تنتهى؟. أما والله إنّى... [۲۸] .

فقال له قيس: ما شئت. أَمَا والله لئن شئت لتناقضت به [۲۹] .

قال: فقام إليه الحسن وقال له: بايع يا قيس، فبايع [۳۰] .

## مواقف مشرقة

## الامام الحسن يجنى ثمار الصلح

وكان هدف الإمام الحسن (ع) من الصلح فضح معاوية، وهدم أسس سلطته القائمة على القيم الجاهلية، وتنظيم صفوف المعارضة من جديد، واستغلال كل فرصة لبث روح الإيمان والتقوى في ضمائر الناس.

وفيما يلى نذكر بعضاً من مواقف الإمام مع سلطة معاوية التى كانت تهز عرشه، وتُلهم معارضيه أسلوب مقاومته:

أ – بُعَيْدَ المصالحة صعد معاوية المنبر، وجمع الناس فخطبهم وقال: إن الحسن بن على رآنى للخلافة أهلاً، ولم يَر نفسه لها أهلاً، وكان الحسن (ع) أسفل منه بمرقاة.

فلمّا فرغ من كلامه قام الحسن (ع) فحمد الله تعالى بما هو أهله، ثمّ ذكر المباهلة، فقال:

فجاء رسول الله (ص) من الأنفس بأبى، ومن الأبناء بى وبأخى، ومن النساء بأمّى. وكنّا أهله ونحن آله، وهو منّا ونحن منه.

ولمّا نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله (ص) فى كساء لأُمِّ سلمة رضى الله عنها خيبرى ثم قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتى وعترتى، فَأَذهِبْ عنهم الرِّجسَ وطهّرهم تطهيراً. فلم يكن أحد فى الكساء غيرى وأخى وأبى وأُمّى ولم يكن أحد تصيبه جنابة فى المسجد ويولد فيه إلّا النبى (ص) وأبى تكرمة من الله لنا وتفضيلاً منه لنا، وقد رأيتم مكان منزلتنا من رسول الله (ص).

وأمر بسدِّ الأبواب فسدَّها وترك بابنا، فقيل له فى ذلك فقال: أَمَا إنّى لم أسدَّها وأفتح بابه، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرنى أن أسدَّها وأفتح بابه.

وإنَّ معاوية زعم لكم أنّى رأيته للخلافة أهلاً، ولم أرَ نفسى لها أهلاً فكذب معاوية، نحن أولى بالناس فى كتاب الله عزَّ وجلَّ وعلى لسان نبيه (ص)، ولم نزل أهل البيت مظلومين، منذ قبض الله نبيه (ص)، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقّنا، وتوثّب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفىء ومنع أُمَّنا ما جعل لها رسول الله (ص).

وأُقسم بالله لو أنَّ الناس بايعوا أبى حين فارقهم رسول الله (ص) لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، وما طمِعتَ فيها يا معاوية. فلمّا خرجتْ من معدنها تنازعتها قريش بينها، فطمعتْ فيها الطُّلَقاء، وأبناء الطُّلَقاء – أنت وأصحابك – وقد قال رسول الله (ص): ما ولّت أُمّة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلّا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوا، فقد تركت بنو إسرائيل هارون وهم يعلمون أنّه خليفة موسى فيهم واتّبعوا السامرىَّ، وقد تركت هذه الأُمّة أبى وبايعوا غيره، وقد سمعوا رسول الله (ص) يقول: أنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلّا النبوّة، وقد رأوا رسول الله (ص) نصب أبى يوم غدير خم وأمرهم أن يبلّغ الشاهد منهم الغائب.

وقد هرب رسول الله (ص) من قومه، وهو يدعوهم إلى الله تعالى حتّى دخل الغار، ولو وجد أعواناً ما هرب، وقد كفَّ أبى يده حين ناشدهم، واستغاث فلم يُغَثْ فجعل الله هارون فى سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، وجعل الله النبىَّ (ص) فى سعة حين دخل الغار ولم يجد أعواناً. وكذلك أبى وأنا فى سعة من الله حين خذلتنا هذه الأمة، وبايعوك يا معاوية. وإنما هى السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً.

أيها الناس: إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب، أن تجدوا رجلاً ولده نبىّ غيرى وأخى لم تجدوا، وإنّى قد بايعت هذا وإن أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين [۳۱].

ب – ومرة أخرى صعد معاوية المنبر ونال من أمير المؤمنين فتحداه الإمام الحسن (ع) بما فضحه أمام الملأ. تقول الرواية:

بعد أن تمت المصالحة سار معاوية حتّى دخل الكوفة فأقام بها أيّاماً فلمّا استتمّت البيعة له من أهلها صعد المنبر، فخطب الناس وذكر أمير المؤمنين (ع) ونال منه، ونال من الحسن (ع) ما نال، وكان الحسن والحسين (ع) حاضرَين، فقام الحسين (ع) ليردَّ عليه، فأخذ بيده الحسن (ع) فأجلسه، ثمَّ قام فقال:

ايّها الذاكر عليّاً، أنا الحسن وأبى علىٌّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأُمى فاطمة وأُمّك هند، وجدّى رسول الله (ص) وجدُّك حرب، وجدَّتى خديجة وجدَّتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأَمنا حَسَباً، وَشرنا قَدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين [۳۲].

ج – وفى الشام حيث رَكَّز معاوية سلطته خلال عشرات السنين. ولفقَ أكاذيب على الإسلام حتى كاد يخلق للناس ديناً جديداً. وقف الإمام الحسن المجتبى (ع) يعارض نظامه الفاسد، ويبيِّن أنه وخطه الأولى بالقيادة. يقصّ علينا التاريخ الحادثة التالية:

رُوى أنَّ عمرو بن العاص قال لمعاوية: إنَّ الحسن بن على رجل عَيِيٌّ، وإنه إذا صعد المنبر ورمقوه بأبصارهم خجل وانقطع، لو أذنت له. فقال معاوية: يا أبا محمّد لو صعدت المنبر ووعظتنا!. فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال:

مَن عرفنى فقد عرفنى، ومَن لم يعرفنى فأنا الحسن بن علىّ، وابن سيدّة النّساء فاطمة بنت رسول الله (ص). أنا ابن رسول الله، أنا ابن نبىِّ الله، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن البشير النّذير، أنا ابن من بُعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بُعث إلى الجنِّ والإنس، أنا ابن خير خلق الله بعد رسول الله، أنا ابن صاحب الفضائل، أنا ابن صاحب المعجزات والدّلائل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقّى، أنا واحدُ سَيِّدَى شباب أهل الجنّة، أنا ابن الُّركن والمقام، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن المشعر وعرفات.

فاغتاظ معاوية وقال: خذ فى نعت الرُّطب ودعْ ذا، فقال: الرِّيح تنفخه والحرُّ ينضجه، وبرد اللّيل يطيّبه، ثمَّ عاد فقال:

أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن من قاتل معه الملائكة، أنا ابن من خضعت له قريش، أنا ابن إمام الخلق وابن محمّد رسول الله (ص).

فخشى معاوية أن يفتتن به النّاس، فقال: يا أبا محمّد انزل فقد كفى ما جرى. فنزل فقال له معاوية: ظننتَ أن ستكون خليفة، وما أنت وذاك، فقال الحسن (ع):

إنّما الخليفة ممن سار بكتاب الله، وسنّة رسول الله، ليس الخليفة من سار بالجور وعطّل السنّة، واتّخذ الدُّنيا أباً وأُمّاً، ملك ملكاً مُتّع به قليلاً، ثمَّ تنقطع لذَّته، وتبقى تَبِعَتُه.

وحضر المحفل رجل من بنى أُمية وكان شاباً فأغلظ للحسن كلامه، وتجاوز الحدَّ فى السبِّ والشتم له ولأبيه. فقال الحسن (ع): اللهمَّ غيّر ما به من النّعمة واجعله أُنثى ليُعتبر به، فنظر الأمويُّ فى نفسه وقد صار امرأة قد بدَّل الله له فرجه بفرج النّساء وسقطت لحيته، فقال الحسن (ع): أُعْزُبى! مالكِ ومحفل الرِّجال؟ فإنّكِ امرأة.

ثمَّ إنَّ الحسن (ع) سكت ساعة، ثمَّ نفض ثوبه ونهض ليخرج، فقال ابن العاص: اجلس فانّى أسألك مسائل. قال (ع): سل عمّا بدا لك، قال عمرو: أخبرنى عن الكرم والنجدة والمروءة، فقال (ع):

أمّا الكرم فالتبرُّع بالمعروف والإعطاء قبل السؤال. وأما النجدة فالذَّبُّ عن المحارم، والصّبر فى المواطن عند المكاره. وأما المروءة فحفظ الرجل دينه، وإحرازه نفسه من الدنس، وقيامه بأداء الحقوق وإفشاء السلام.

فخرج (الإمام الحسن عليه السلام) فعذل معاوية عمراً. فقال: أفسدت أهل الشام. فقال عمرو: إليك عنّى. إن أهل الشام لم يحبوك محبة إيمان ودين. إنّما أحبوك للدنيا ينالونها منك، والسيف والمال بيدك، فما يغنى عن الحسن كلامه.

ثم شاع أمر الشاب الأموى، وأتت زوجته إلى الحسن فجعلت تبكى. وتتضرع فرقَّ لها ودعا فجعله الله كما كان [٣٣] .

## الى المدينة

وهكذا ظل الإمام فى الكوفة شهوراً، ثم ارتحل عنها وارتحل معه كلّ الخير. ففى نفس الأيام التى خرج الإمام عنها، حلّ بها طاعون فمات الكثير من أهلها، حتى أن واليها (المغيرة بن شعبة) أُصيب به فمات.

فلما بلغ المدينة، خف أهلها يستقبلونه أحرّ الإستقبال. وظل هناك يقود حرباً باردة ضد معاوية ومؤامراته على المسلمين، حتى كانت السنة حيث وفد إلى الشام عاصمة الخلافة الإسلامية، فراح يبلّغ عن دعوته التى خُلق لها وخرج بها، وعاش معها، تلك دعوة الحق، ومحق الباطل. ولقد أظهر الإمام فى تلك الرحلة الرسالية، لأهل الشام، أن معاوية ليس بالذى يصلح للقيادة، على ما موَّه عليهم بدعاياته المضللة، فهو يرجع بهم إلى الجاهلية حيث كان أبوه يستعبد الناس ويستنزف جهودَهم وطاقاتهم، ولا يهمه بعد ذلك أَسَعِدُوا أم شقوا.

وليس من العجب أن نرى كلّ من التفَّ حول معاوية ودافع عن أفكاره ونصب نفسه لدعوته، كان من قبل قد التف هو أو أسرته حول ابى سفيان ودافع عن أفكاره. فلا ـ زال معاوية يقود الحزب الأموى الذى قاده من قبل والده أبو سفيان، بذات المفاهيم والعادات والسلوكيات. كما أنه لا يثير العجب إذا رأينا فى صف الإمام الحسن (ع) ثلة صالحة ممن كان قبل أيام يناضل أبا سفيان وحزبه دفاعاً عن قيم الرسالة.

والواقع أن حركة معاوية كانت ردّ فعل جاهلى ضد انتشار رسالة الإسلام وكانت على صلة تامة بالروم.

وكان يعتمد معاوية على أشخاص مثل عمرو بن العاص، وزياد بن أبيه، وعتبة بن أبى سفيان، والمغيرة بن شعبة، ونظائرهم ممن لاتزال صورهم أو صور أسرهم تتراءى لنا، فى ميادين بدر والخندق، كما كان يعتمد على النصارى الذين أصبحت لهم قوة لا يُستهان بها داخل الدولة الأموية. وإن معاوية كان يجتمع كلّ مساء بمن يقرأ عليه أخبار الحروب السابقة وخصوصاً تجارب الروم فى الحروب السياسية فيستفيد منها.

من هنا نعرف أن الحرب بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، أو نجله الإمام الحسن (ع) وبين معاوية، لم تكن صراعاً مجرداً على السلطة ولا صراعاً بين حزبين داخل الإطار الإسلامى، بل كان صراعاً بين الكفر المبطن والإسلام الحق. ولذلك اتبع الإمام الحسن (ع) نهجاً خاصاً فى مواجهة الصراع، وهو نهج الدعوة الصريحة، حيث سافر إلى الشام، عاصمة الخلافة، كى يُقر حقّاً نذر له نفسه، ومن الطبيعى أن أهل الشام سوف يلتفتون إليه بعد أن كان رئيس الحركة المناوئة لدولتهم، وقائد الحرب المعارض لسياستهم. ولابد أن يفد منهم خلق كثير، فهنالك يستطيع أن يبلِّغ دعوته وينشر من علومه ما يدكّ صرح معاوية السياسى وينسف أحلامه الجاهلية.

وإن صفحات التاريخ تطالعنا بكثير من خطبه التى ألقاها على أهل الشام، فأثر فى نفوسهم أبلغ تأثير، ولم يزل كذلك حتى اشتكاه أنصار معاوية قائلين له إن الحسن قد أحيا أباه وَذِكْره، وقال فصُدِّق، وأمر

فأُطيع، وخفقت له النعال، وإن ذلك لرافعة إلى ما هو أعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا.

## سياسته فى عهد معاوية

وهكذا قاد الإما الحسن المجتبى (ع) معارضة سياسية قوية، ولكن من دون الحرب. وكان يوجه شيعته هنا وهناك، وينظم صفوفهم، وينمى كفاءاتهم، ويدافع عنهم أمام بطش معاوية وكيده. وفى ذات الوقت كان (ع) يقوم بنشر الثقافة الإسلامية فى كافة البلاد، إما عن طريق الرسائل والموفودين من تلامذته البارعين الذين كان يتكفل أمورهم المادية والمعنوية ثم يبعثهم إلى الآفاق، أو عبر الخطب التى كان يلقيها فى مواسم الحج وغيرها، فيملك ناحية الأمة ويستأثر بقيادتها الثقافية. ومن ذلك أيضاً، نستطيع أن ندرك سر اختياره المدينة المنورة كوطن دائم له، حيث كان فيها من الأنصار وغيرهم ممن يقدر على إرشادهم وتوجيههم، وبذلك يستطع أن يشقّ طريقه إلى إرشاد الأمة وتوجيهها، حيث كان الأنصار وأولادهم هم القدوة الفكرية للأمة، فمَن ملك قيادة الأنصار ملك قيادة الأمة فعلًا.

## الشهادة: العاقبة الحسنى

لقد دعت سياسة الإمام الرشيدة ومكانته المتنامية فى الأمة معاوية إلى أن يشك فى قدرته على مناوأته، واستثاره – من ثم – بقيادة الأمة، حيث إنه ما خطى خطوة تُالف قِيَمَ الحق أو مصالح الأمة، إلاّ وعارضه الإمام واتَّبعته الأمة فى ذلك، ففشلت مساعى معاوية وخابت آماله، فدبَّر حيلة كانت ناجحة إلى أبعد الحدود، تلك هى الفتك بحياة الإمام (ع) عن طريق سمٍّ بعثه إلى زوجته. وقد سبق القول: فى أن منطق معاوية كان يبرّر له كلّ جريمة، وكان له جنود من عسل على حدّ تعبيره، فإذا كره من فرد شيئاً بعث إليه عسلاً ممزوجاً بالسمّ فيقتله بذلك.

وقد جعل مثل ذلک بالإمام الحسن (ع) مرات عدیدة، فلم یؤثر فیه، وباءت مساعیه بالفشل. إلا أنه ذات مرة بعث إلی عاهل الروم یطلب منه سمّاً فتّاکاً، فقال ملک الروم: إنه لا یصلح لنا فی دیننا أن نعین علی قتال من لا یقاتلنا، فراسله معاویة یقول: إن هذا الرجل هو ابن الذی خرج بأرض تهامة - یعنی رسول الله (ص) - خرج یطلب ملک أبیک، وأنا أُرید أن أدس إلیه السمّ، فأریح منه العباد والبلاد.

فبعث ملک الروم إلی معاویة بالسمّ الفتاک الذی دسه إلی الإمام (ع) عن طریق جعدة الزوجة الخائنة التی کانت تنتمی إلی أسرة فاجرة، حیث اشترک أبوها فی قتل أمیر المؤمنین وأخوها فی قتل الإمام الحسین (علیهما السلام) فیما بعد.

وفی ذلک النهار حیث کان قد مضی أربعون یوماً أو ستون علی سقیه السمّ، وقد أتمَّ وصایاه التی أوصی بها إلی أخیه الإمام الحسین (ع)، وعلم باقتراب أجله، فکان یبتهل إلی الله تعالی قائلًا:

اللهمّ إنی أحتسب عندک نفسی، فإنها أعز الأنفس علیّ لم أُصَب بمثلها. اللهمَّ آنس صرعتی، وآنس فی القبر وحدتی، ولقد حاقت شربته (أیّ معاویة). والله ما وفیَ بما وعد، ولا صدق فیما قال.

وکان یتلو آیاتٍ من الذِّکْرِ الحیکم حین التحق بالرفیق الأعلی سلام الله علیه.

## التشییع

وقامت المدینة المنورة لتشیع جثمان ابن بنت رسول الله (ص) الذی لم یزل ساهراً علی مصالحهم قائماً بها أبداً. وجاء موکب التشییع یحمل جثمانه الطاهر إلی الحرم النبویِّ لیدفنوه عند الرسول، أو لیجددوا العهد معه علی ما کان قد وصَّی به الإمام، فرکبت عائشة بغلة شهباء واستنفرت بنی أمیة وجاؤوا إلی الموکب الحافل بالمهاجرین والأنصار وبنی هاشم وسائر الجماهیر المؤمنة الثاویة فی المدینة، فقالت عائشة تصیح: یا رُبَّ هیجاء هی خیر من دعة!. أیُدفن عثمان بأقصی المدینة ویدفن الحسن عند جدِّه.

ثم صرخت فی الهاشمیین، نحّوا ابنکم واذهبوا به فإنکم قوم خصمون..

ولولا وصیة من الحسن (ع) بالغة علی الحسین (ع)، ألَّا یُراق فی تشییعه ملء محجمةِ دم، لَمَا ترک بنو هاشم لبنی أمیة فی ذلک الیوم کیاناً. ولولا أن الحسین نادی فیهم: الله الله یا بنی هاشم، لا تضیّعوا وصیة أخی، واعدلوا به إلی البقیع، فإنه أقسم علیَّ ان أنا مُنعت من دفنه عند جدِّه إذاً لا أُخاصم فیه أحداً، وأن أدفنه فی البقیع مع أُمّه. هذا، وقبل أن یعدلوا بالجثمان، کانت سهام بنی أمیة قد تواترت علی جثمان السبط وأخذت سبعین سهماً مأخذها منه.

فراحوا إلی البقیع وقد اکتظ بالناس فدفنوه حیث الآن یُزار مرقده الشریف.

وهکذا عاش السبط الأکبر لرسول الله (ص)، نقیاً طاهراً مقهوراً مهتضماً، ومضی شهیداً مظلوماً محتسباً، فسلام الله علیه ما بقی اللیل والنهار.

## مکارم الأخلاق

### العابد الزاهد

۱- حجَّ الإمام الحسن (ع) خمساً وعشرین مرةً ماشیاً، والنجائب تقاد من بین یدیه. وکلما مرَّت به طائفة صعقت وخفت بالنزول إجلالاً لسموِّه وکبیر مکانته. فلم یزل حتی یعدل بطریقه عن الشارع العام، لیبلغ فی تذلله للخالق کلّ مبلغ.

۲- وکان إذا ذکر الله عزَّ وجلَّ بکی، وإذا سُمِّی لدیه القبر بکی، وإذا قیل فی البعث شیء بکی، وإذا ذُکِّر بالصراط فی المعاد بکی. وأما إذا ذُکر لدیه العَرض الأکبر إذ الخلائق بین یدَی الله القدیر، کلٌ ینظر فی شأنه، ولهم شؤون تغنیهم عن الآخرین، فهناک شهق

شهقة وغشى عليه خوفاً وذعراً.

أما إذا حدَّث بالجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله الجنة واستعاذ به من النار.

وإذا توضأ فإنه كان يصفرُّ لونُه وترتعدُ فرائصُه، فإذا قام إلى الصلاة اشتد اصفرار لونه وارتعاد فرائصه.

۳- وأما أمواله فقد قاسَمَ الله فيها ثلاثَ مرات، نصفاً بذل ونصفاً أبقى. وقد خرج من ماله كله مرتين فی سبيل الله، فلم يبقَ له شیء إلا أعطاه فی سبيل الله.

۴- ولا تمر عليه حال من الأحوال إلّا ذكر الله عزّ وجلّ رغَباً ورهَباً.

۵- أما ما قال فيه معاصروه، فقد قالوا: وكان أعبد الناس فی زمانه وأزهدهم بالدنيا.

ولقد أفرد بعض الكتّاب الأولين، موضوع زهد الإمام الحسن (ع) فی مجلد خاص، مثل محمد بن علی بن الحسين بن بابويه المتوفی سنة ۳۸۱ فی كتابه (كتاب زهد الحسن عليه السلام).

## المهيب الحبيب

۱- قال واصفوه: ما رآه أحد إلّا هابه، وما خالطه إنسان إلّا أحبّه، ولا سمعه عدوٌ له أو صديقٌ خاطباً فاجترأ عليه بالتكلم واللغو. وقالوا فی شمائله أيضاً: لم يكن أحد أشبه برسول الله (ص) من الحسن بن علی (ع)، خلقاً وخُلقاً وهيئة وهدياً وسؤدداً.

وقالوا كذلك: كان أبيض اللون مُشْرباً بحمرة، أدعج العينين [۳۴] سهل الخدَّين [۳۵] كَثَّ اللحية [۳۶] جَعْد الشعر [۳۷] كأنَّ عنقه إبريق فضة، حسن البدن، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الكراديس [۳۸] رقيق المرية [۳۹] ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً.

۲- كان الإمام (ع)، محبوباً لدى الجميع، يكرمه البعيد والقريب سواء، ومن مظاهر محبوبيته العامة، أنه كان يفرش له بباب داره فی المدينة، يجلس يقضی حوائج الناس ويحل مشاكلهم، فكلّ من يمرّ به يقف هنيئة يسمع حديثه، ويری شمائله ويتزود بها من شمائل الرسول الأكرم وملامحه (ص)، فلا يزال حتی ينسد الطريق دون المّارة. فإذا عرف الإمام ذلك قام ودخل لكی لا يسبب قطع الطريق.

۳- وقال فيه محمد بن إسحاق: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله (ص)، ما بلغ الحسن بن علی.

۴- وقال فيه الزبير: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علی.

۵- وكان ابن عباس يأخذ بركاب الحسن والحسين علی عادة من يريد أن يبالغ فی تواضعه إلی أحد، ويعرف الناس مدی خضوعه لسموّه، فإنه كان يقود له الراحلة كالذی يُستأجر لذلك بالمال. فكان ابن عباس يصنع ذلك للحسين، فرآه ذات مرة مدرك بن زياد، فاندهش إذ رأی شيخ المفسرين يصنع هذا الإكرام بالحسين، فقال أنت أسنّ منهما تُمسك لهما بالركاب. فصاح ابن عباس فی وجهه: يالكع!! وما تدری من هذان؟. هذان ابنا رسول الله. أوليس مما أنعم الله علیّ به أن أُمسك لهما وأسوِّی عليهما؟.

۶- وقد سبق أنَّه إذا امتطی الصحراء إلی مكة ماشياً، ورآه ملأ من المسلمين نزلوا يمشون إلی جنبه ولا يركبون حتی يعدل عنهم.

## الجواد الكريم

۱- أتاه رجل يطلب حاجة وهو يستحيی من الحاضرين أن يفصح عنها، فقال له الإمام: اكتب حاجتك فی رقعة وارفعها إلينا. فكتب الرجل حاجته ورفعها. فضاعفها له الإمام مرتين، وأعطاه فی تواضع كبير.

فقال له بعض الشاهدين ما كان أعظم بركة الرقعة عليه، يابن رسول الله!. فقال: بركتها إلينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمت: إن المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة. فأمَّا مَن أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه. وعسی أن يكون بات ليلته متململاً أرقا، يميل بين اليأس والرجاء ليعلم بما يرجع من حاجته أبكآبة ردّ، أم بسرور النجح، فيأتيك وفرائصه ترعد، وقلبه

خائف يخفق، فإن قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه فإن ذلك أعظم مما ناله من معروفك.

۲- وجاءه رجل يسأل معروفاً، فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال له: إئت بحمّال لك، فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال هذا كرى الحمّال.

۳- وجاءه أعرابى يريد أن يسأله حاجة، فقال الإمام لمن حوله: أعطوه ما فى الخزينة. فوجد فيها عشرون ألف درهم، فدفعت إليه قبل أن يسأل. فاندهش الأعرابى وقال: يا مولاى ألاّ تركتنى أبوح بحاجتى وأنشر مدحتى، فأنشأ الإمام يقول:

نحنُ أناسٌ نوالنا خضلٌ

يرتعُ فيه الرجاءُ والأملُ

تجودُ قبلَ السؤالِ أنفسُنا

خوفاً على ماء وجْهِ مَن يَسَلُ

۴- وحجّ ذات سنة هو وأخوه الإمام الحسين (ع)، وعبد الله بن جعفر، ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فرأوا عجوزاً فى خباء فاستسقوها فقالت هذه الشويهة، أحلبوها واستطعموها، فذبحت لهم شاتها وشوتها، فلما طعموا قالوا لها: نحن نفر من قريش، نريد هذا الوجه، فإذا عدنا فَمُرِّى بنا، فإنا صانعون بك خيراً. ثم مضت بها الأيام وأضرت بها الحال، فرحلت حتى وصلت المدينة المنورة. فرآها الحسن (ع)، فعرفها فقال لها: أتعرفيننى؟. قالت: لا ـ قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا. فأمر لها بألف شاة وألف دينار، وبعث بها إلى الحسين (ع)، فأعطاها مثل ذلك ثم بعثها إلى عبد الله بن جعفر، فأعطاها مثل ذلك.

۵- وتنازع رجلان، هذا أموى يقول: قومى أسمح، وهذا هاشمى يقول: بل قومى أسمح.

فقال أحدهما: فاسألْ أنت عشرة من قومك، وأنا أسأل عشرة من قومى، يريد أن يسأل كلٌّ عطاء عشرة من قومه، فينظروا أىّ القومين أسخى وأسمح يداً. ثم إذا عرفوا ذلك أرجع كلّ منهما الأموال إلى أهلها، كلّ ذلك شريطة أن لا يخبرا من يسألاه بالأمر.

فانطلق صاحب بنى أمية فسأل عشرة من قومه فأعطاه كلّ واحد منهم ألف درهم. وانطلق صاحب بنى هاشم إلى الحسن بن على فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم، ثم أتى الحسين فقال: هل بدأت بأحد قبلى؟ قال: بدأت بالحسن، قال: ما كنت أستطيع أن أزيد على سيدى شيئاً، فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم، فجاء صاحب بنى أمية يحمل عشرة آلاف درهم من عشرة أنفس وجاء صاحب بنى هاشم يحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسَين، فغضب صاحب بنى أمية، حيث رأى فشله فى مبادراته القبلية.

فردّ الأول حسب الشرط ما كان قد أخذه من بنى أمية فقبلوه فَرِحِين، وجاء صاحب بنى هاشم الحسن والحسين يردّ عليهما أموالهما فأبيا أن يقبلاهما قائلين: ما نبالى أخذتها أم ألقيتها فى الطريق.

## المتواضع الحليم

۱- مرّ بطائفة من الفقراء جلوساً على كسيرات من الرغيف يأكلونها، فلما رأوا موكب الإمام قاموا إليه، ودعوه إلى طعامهم قائلين هلّم يابن رسول الله إلى الغداء، فنزل وهو يقول: إن الله لايحب المتكبرين وجعل يأكل معهم ثم دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم.

۲- وعصفت به ظروف عصيبة أن لو مرت على الجبال لتدكدكت، وازدحمت فوق كتفيه مسؤوليات عظيمة فاضطلع بها وتغلب على صعابها فى حلم وأناة، مما دفع أشدّ الناس عداوة له – وهو مروان – إلى أن يقول: كان من حلمه ما يوازن به الجبال. وكانت صفة الحلم أبرز سماته (ع)، حيث كان يشبّه فيها بالنبى (ص).

## من بلاغة الإمام

### لا جبر و لا تفويض

من لا يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر، من حمل ذنبه على ربه فقد فجر. إن الله لايُطاع استكراهاً، ولا يعطى لغلَبه، لأنه المليك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم. فإن عملوا بالطاعة لم يَحُلْ بينهم وبين ما فعلوا، فإذا لم يفعلوا فليس هو الذى يجبرهم على ذلك. فلو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب، ولو أجبرهم على المعاصى لأسقط عنهم العقاب. ولو أنه أهملهم لكان عجزاً فى القدرة. ولكنْ له فيهم المشيئة التى غيّبها عنهم، فإن عملوا بالطاعات كانت له المنّة عليهم، وإن عملوا بالمعصية كانت له الحجة عليهم.

### الموت يطلبک

يا جنادة، استعدَّ لسفرک، وحصّل زادک قبل حلول أجلک، واعلم أنک تطلب الدنيا والموت يطلبک. ولا تحمل همّ يومک الذى لم يأتِ على يومک الذى أنت فيه، واعلم أنک لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتک إلّا كنت فيه خازناً لغيرک. واعلم أن الدنيا فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب، وفى الشبهات عتاب، فَأَنزِلِ الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيک، فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيه، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وان كان العقاب فالعقاب يسير. واعمل لدنياک كأنک تعيش أبداً، واعمل لآخرتک كأنک تموت غداً. وإذا أردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله، إلى عزّ طاعة الله عزَّ وجلَّ. وإذا نازعتک إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب مَن إذا صحبته زانک، وإذا أخذت منه صانک، وإذا أردت منه معونة أعانک، وإن قلت صدَّقک، وإن صلت شدّ صولتک، وإن مددت يدک بفضل مدّها، وإن بدت منک ثلمة سدّها، وإن رأى منک حسنة عدّها، وإن سألته أعطاکن وإن سکتَ عنه ابتداک، وإن نزلتْ بک إحدى الملمات واساک، مَن لا تأتيک منه البوائق، ولا تختلف عليک منه الطرائق، ولا يخذلک عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرک.

### من حكمته البالغة

۱- المزاح يأكل الهيبة. وقد أكثر من الهيبة الصامت.

۲- المسؤول حرّ حتى يَعِدّ ومسترق بالوعد حتى ينجز.

۳- اليقين معاذ السلامة.

۴- رأس العقل معاشرة الناس بالجميل.

۵- القريب من قرَّبته المودة وإن بعد نسبه، والبعيد من باعدته المودة وإن قرب نسبه. فلا شىء أقرب من يد إلى جسد، وإن اليد تفل فتقطع وتحسم.

۶- الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود.

۷ - لئن ساءنى الدنيا عزمتُ تَصَبُّراً
و كلُّ بلاءٍ لا يدوم يسيرُ

و إن سرّنى لم أبتهج بسروره
و كلّ سرورٍ لا يدوم حقيرُ

۸- يا أهلَ لذاتِ دنياً لا بقاء لها
إنَّ المقامَ بظلّ زائلٍ حَمَقُ

۹- لكسرة من خسيس الخبز تُشبعنى
وشربة من قراح الماء تكفينى

وطرة من دقيق الثوب تسترنى
حيّاً وإن مت تكفينى لتكفينى

۱۰- إذا ما أتانى سائل قلت مرحباً
بمَن فضلهُ فرضٌ علىّ معجلُ

ومن فضله فضلٌ على كلِّ فاضلِ
و أفضلُ أيامِ الفتى حين يُسألُ

تاريخ الانتهاء من التأليف ۳ / ۱۰ / ۱۳۸۶ هـ
وأنا أشكر الله الكريم على ذلك..

## پاورقی

[۱] الحزقة: القصير الذى يقارب الخطو.

[۲] الحسن بن على: (ص ۲۱).

[۳] المصدر: (ج ۴۳، ص ۲۶۲).

[۴] المصدر: (ص ۲۶۴).

[۵] المصدر.

[۶] المصدر: (ص ۲۶۵).

[۷] المصدر: (ص ۲۶۹).

[۸] المصدر: (ص ۲۷۰).

[۹] المصدر: (ص ۲۷۵).

[۱۰] شرح ابن أبى الحديد: (ج ۴، ص ۱۳).

[۱۱] لابد أن ننبه القارئ إلى ما احتوت عليه رسالته من الدجل.
الرسالة هى: أن معاوية ذكر كتاب أشراف العراق إليه فإن كان ذلك كما ذكر فلم هذه الحرب ولِمَ حشد الجيش ولمحاربة مَن؟ إذا كان أهل العراق يريدون حكومته فَلِمَ يجمع ستين ألفاً، يخرج بهم إليه، وقد كان يمكنه أن يدخله مع شرذمة من أصحابه.

[۱۲] وفی التاریخ مظالم یقشعر منها الجلد، فلقد نبش بنو أمیهٔ آلافاً من المقابر علهم یعثرون علی جثمان علی (ع).. فیستشفوا بإهانته وأبی الله علیهم ذلک وآنافهم مرغومهٔ.

[۱۳] أیّ صدقتهم بقوله: نعم.

[۱۴] موضع قریب من (أوانا) علی نهر دجلهٔ.

[۱۵] بحار الأنوار: (ج ۴۴، ص ۵۱).

[۱۶] قال ذلک.

[۱۷] تذکرهٔ الخواص: (ص ۲۰۷).

[۱۸] ذکر هـذه الوثیقـهٔ العلّامهٔ باقر شـریف القرشـی عن الفصول المهمهٔ: (ص ۱۴۵) وکشف الغمـهٔ: (ص ۱۷۰) والبحار: (ج ۱۰، ص ۱۱۵). وغیرها ثم علق علیها هذه الصورهٔ أفضل صورهٔ وردت مبینهٔ لکیفیهٔ الصلح.

[۱۹] بحار الأنوار: (ج ۴۳، ص ۲۹۸).

[۲۰] نهج البلاغهٔ: (ص ۳۱۸). کلمهٔ (۲۰۰) – اعداد صبحی الصالح –.

[۲۱] المصدر: (ص ۷۶).

[۲۲] بحار الانوار: (ج ۴۲، ص ۱۹۶).

[۲۳] بحار الأنوار: (ج ۴۴، ص ۴۳).

[۲۴] المصدر: (ص ۶۵).

[۲۵] المصدر: (ص ۴۷).

[۲۶] المصدر: (ص ۵۶).

[۲۷] المصدر: (ص ۵۷).

[۲۸] یبدو أنّ معاویهٔ أراد أن یُهدِّد قیساً. ولکنه سکت.

[۲۹] یبدو أنّ قیساً ردّ تهدیدات معاویهٔ، وقال: إن شئت فإنی قادر علی نقض العهد.

[۳۰] المصدر: (ص ۶۲).

[۳۱] المصدر: (ص ۶۲ – ۶۴).

[۳۲] المصدر: (ص ۴۹).

[۳۳] المصدر: (ص ۸۸ – ۹۰).

[۳۴] أدعج العینین: أسود العینین مع سعتها.

[۳۵] سهل الخدَّین: قلیل لحمه.

[۳۶] کث اللحیهٔ: کثیف اللحیهٔ.

[۳۷] جعد الشعر: تجعّد الشیء: تقبّض، وجعّد الشعر: صیره جعداً، وهو ضد سبُط واسترسل.

[۳۸] عظیم الکرادیس: کرادیس: کل عظم تکردس اللحم علیه.

[۳۹] رقیق المریهٔ: المریهٔ: الجدل.

## تعریف مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبهٔ/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا و یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جِهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهٔ هامّهٔ:

المیزانیّـهٔ الحالیّـهٔ لهـذا المرکز، شـَعبیّـهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩